



لم يكن بينهما أي شيء مشترك. لكن أمراً واحداً جمعهما هو الثورة ضد النظام. يعقد المقاتل أسد الإسلام قرانه على ليلي، المقاتلة الشابة السورية المقدونية، في قاعدة في جبل التركمان.

كان أسد الإسلام يعمل في مصنع للحلوي وأودع السجن مراراً قبل الثورة، لأنه كان ملتحياً وشارك في تظاهرات احتجاج على الرسوم الكاريكاتورية للنبي محمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، حيث يطرح نظام بشار الأسد نفسه باعتباره مثلاً للعلمانية.

أما ليلي فهي من أب سوري وأم مقدونية، تتحدث لغات عدّة وكانت تعمل في الإعلانات لدى شركة سوريا كبيرة، ولدت ونشأت في يوغوسلافيا السابقة قبل أن تعود إلى سوريا في 2001.

وأمام شيخ «كتيبة الجبل» يقبل الشابان بالزواج وبأن يخلصا لبعضهما أمام شاهدين، ورئيس الكتيبة الذي يقوم مقام الأب ووكيل العروس، وبعض المقاتلين الذين تجمعوا على شرفة مقر الكتيبة المطل على غابة.

وفي هذه المنطقة الجبلية يرجع الصدى صوت انفجار أو إطلاق نار. لا يسمع شيء هنا غير ذلك، بعيداً عن صخب المدينة، فيهذه المنطقة الزراعية التي تعصف فيها رياح قوية.

ويقول أسد الإسلام: «إن شاء الله وعدنا إلى اللاذقية، سننظم حفلة زفاف كبيرة مع عائلتنا في الساحة التي نظمنا فيها أول اعتصام ضد النظام» في 25 آذار (مارس) 2011.

وتضيف ليلي بابتسامة عريضة تضيء عينيها الزرقاءين: «بعد كل ما عملناه من أجل الثورة، سيكون من حقنا أن نحتفل (...). إذا كتبت لنا الحياة».

ويقول الشيخ مصطفى محمد صالح ديبو الذي وضع عصبة سوداء على رأسه وارتدى سترة جلدية إن «الزواج يعني استمرار الحياة على رغم الاضطهاد الذي يعيشه شعبنا. إنها واحدة من طرق مواجهة النظام». ويقوم مقاتل بتوزيع السكاكر والحلوى على الحاضرين.

ويؤمن أسد الإسلام وليلي بأن الله كتب لهما أن يلتقيا ويتحابا في «كتيبة عز عبد السلام» حيث روى كل منهما للآخر الأحداث التي عاشها منذ بداية الثورة.

ويقول أسد الإسلام: «كنا في التظاهرة نفسها في اللاذقية، حتى أنه قبض علينا في الوقت نفسه». ويضيف الشاب الذي غطى رأسه بكوفية وارتدى قميصاً قطنياً لمناسبة الزفاف: «لكننا لم نتحدث ولا مرة، حتى التقينا من جديد في الجبل». ويعيش الزوجان في مقر الكتيبة في جبل التركمان في شمال محافظة اللاذقية.

ويستعد أسد الإسلام للعودة إلى الجبهة منذ اليوم التالي لزواجه، في حين تتولى ليلي تدبير شؤون المقر. وفي غرفتها الصغيرة فوق سطح المنزل حيث تتولى إدارة مخزون السلاح، تشير إلى صناديق القذائف ورشاشات الكلاشنيكوف وبنادق دراغونوف وحتى رشاش ثقيل مضاد للدروع.

كل مقاتل يعود من الجبهة يسلّمها سلاحه، فتقوم بنزع المخزن الذي تحفظه مع الذخيرة، والسلاح مع باقي الأسلحة. ويقول أسد الإسلام باعتزاز: «الجميع يحبها في الكتيبة، كل من ينزل إلى المدينة، يحضر لها هدية صغيرة». ومع ذلك، لم تكن البداية سهلة بالنسبة إلى الشابة البالغة من العمر 25 عاماً. ويقول أسد مازحاً: «لقد حاولوا التخلص منها، أرغموها على السير ساعات في الوحول وفي الجبل وهي تحمل حقيبة عسكرية ضخمة على ظهرها، لاختبار قدرتها على التحمل».

وصمدت ليلي. وتقول الشابة التي ارتدت قبعة ولفت عنقها بكوفية، إن التجربة كانت مهمة لأن «ثورتنا ليست ثورة للرجال فقط، إنها ثورة كل السوريين، وكل الأحرار».

وتضيف: «بدأت كناشطة في التظاهرات السلمية، ولكن عندما تسلحت الثورة، سرت مع الحركة، لأنه واجب». وتضيف: «عندما وصلت في 2001 للمرة الأولى إلى مطار دمشق فكرت على الفور بقصة 1984 لجورج أورويل. هكذا كانت سورية»، مشيرة إلى الرواية البريطانية التي تتحدث عن نظام عسكري شمولي.

الحياة

المصادر: